وتكاد رواية اميل حبيبي التي تميزت بالشمول والدقة في تناول القضية الفلسطينية بكل أبعادها القومية والاجتماعية ، تكاد ان تكون متمحورة حول هذا الحس الاجتماعي ، حس الصراع الطبقي واذا قرأ القارىء قصص خليل السواحري وقصص محمد نفاع وجد الحرص نفسه على تصوير النماذج المسحوقة من المجتمع الفلسطيني بذات الدرجة من الوعي والحساسية الاجتماعية المادية . ان خليل السواحري الذي كتب قصصه كلها في مخاض نكسة حزيران ، تعزف كثيرا على هذا الوتر . وهو يقف في قصصه « مقهى الباشورة » و« تراجيديا المختارة » و« فسرج الهمشري » موقف المتحدي للطبقات التقليدية والبرجوازية فيفضحها ويعريها في الوقت الذي لا يتخلى فيه عن الانحياز لصالح الفئات المسحوقة .

ومن جهة ثانية فان ما يقارب بين قصص هذا التيار فهمها لقضية الاحتلال . فمع ان الكثير من الكتابات توحي بأن كتاب الارض المحتلة ، الشيوعيون منهم خاصة ، يسلمون بشرعية الوجود الاسرائيلي على الارض الفلسطينية فسان قصص هذا التيار تعطي دلالة مناقضة . لقد استطاع اميل حبيبي وحنا ابراهيم ومحمد علي طه ان ينسفوا كل النظريات السياسية لانهم اخلصوا لمعاناتهم اخلاصا كبيرا . فاميل حبيبي جعل المتشائل في روايته « الوقائع » يرفع علم الاحتلال على مدينة حيفا . فحيفا محتلة مثلها ، مثل بقية فلسطين . اما محمد طه فقد جعل من ابناء الجليل فدائيين ينخرطون في سلك المقاومة لتحريره .

والسمة الثالثة — مضمونا — هي حرص كتاب هذا التيار على استيعاب جوانب القضية تاريخيا ومكانيا . فقصص محمد علي طه ، وحنا ابراهيم ، واميل حبيبي ، ومحمد نفاع ، قصص تتناولها في المراحل المتعاقبة . وطبقا لقانون التطور ، فهذا الوعي بالقضية لا نكاد نجد مثيلا له في قصص الكتاب الفلسطينيين في المنفى . ومرد ذلك الى ارتباط هؤلاء الكتاب — اي كتاب المنفى — بالاحداث الجديدة ، مباشرة ، في مقابل ارتباط اولئك الكتاب بالاحداث وتراكماتها من عهد الانتداب حتى الان . فكل مجموعة قصصية من مجموعاتهم ، وكل رواية من رواياتهم ، توشك ان تكون وحدة كاملة لتفاصيل الصراع الفلسطيني — الصهيوني — من البداية وحتى الان .

على كل حال فان اي تيار ادبي لا يستمد استقلاليته وتمايزه من المضمون فحسب . فعلى سبيل الحجاج نستطيع ان نأخذ نماذج قصصية فلسطينية في المنفى تجمعها وحدة الفكر ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يحول دون ادراجها في تيار ادبي مستقل . ان وحدة المضامين لا بد لكي تشكل تيارا مميزا من ان تصاغ في أشكال ومعمارات فنية متقاربة ، وهذه هي النقطة الاساسية في الحديث . فهؤلاء القصاصون — اميل حبيبي ، حنا ابراهيم ، محمد نفاع ، محمد علي طه ، خليل السواحري — هم قصاصو الشكل الادبي الشعبي . وهو شكل لا يستمد قيمه الجمالية والفنية من الوسائط التكنيكية المعروفة عالميا وعربيا ، كالرمز ، والاسطورة، والقصة الايقاعية، والقصة المكثفة شعريا ، والقصة التي تشبه المقال .. وما الى ذلك . انما هم قصاصو الشكل الشعبي الذي يقوم على عدة أركان يمكن اجمالها فيما يلي :

١ — الحرص على تصوير البيئة الفلسطينية بكل ما يميزها عن غيرها من الهيئات وفي هذه الحالة كثيرا ما تخون الكاتب مشاعره البورجوازية فلا يجد سبيلا الى الخلاص سوى العودة الى الريف . ومن هنا فان جل النماذج القصصية انما تدور في القرى الصغيرة والقرى المتوسطة لان هذه المناطق هي التي ما تزال تحتفظ بالسمات البيئية الفلسطينية الحقيقية ، وعندما تأخذ عدسة الكاتب بالتقاط المشاهد فاننا نكاد نحس بمواجهتنا الحقيقية للقرية الفلسطينية ، سواء تلك التي دمرت ، ومحيت اثارها ، او تلك التي ما تزال باقية وفيها اهلها . وعندما نقرأ قصص هؤلاء الكتاب نتعرف على قرى الجليل واحدة فواحدة وعندما نقرأ رواية اميل حبيبي فانما نتلمس باصابعنا بيوتها الطينية ، وأشجارها ذات الجذوع الخشنة .

٢ — ان تمايز البيئة الفلسطينية في النماذج القصصية لا يستمد ذاته من الاوصاف التي يسبغها القاص على المشهد التفصيلي بل هناك منبع اخر لهذا التمايز وهو النموذج البشري : نموذج الفلاح الفلسطيني المسحوق من كل النواحي، وحتى ذلك